..عن اللحم والبيض والجزارين..حقيقة ومجازاً

محمود عبد المنعم مراد

التحقيق

كان قرار السيد الرئيس مفاجئا . قرار منع ذبح وبيع اللحوم شهرا كاملا . وأحببت أن أتعرف على رد الفعل ، فى الأمر الى أعرفها وكانت دهشتى بالغة . فما رأيت أحدا ضاق ذرعا بهذا القرار . حتى أولئك الذين لا يغيب عن موائدهم اللحم كل يوم . استقبلوه جميعا بالرضا . ولم يفكروا فيما يفعلون اذا امتنعوا عن أكل اللحم شهرا . فسوف تجئ البدائل ، وتتغير أنماط الاستهلاك ، وتتعود البطون على البروتين الباقى الذى يختاره بعض الناس بمحض ارادتهم ، لأنه يطيل الأعمار ، ويقلل فرص التعرض للمرض .

وكان تسعون فى المائة من المصريين ، منذ عشرات قليلة من السنين ، لا يأكلون اللحم الا مرات قليلة كل عام . ولم يكونوا يموتون قصار الأعمار بسبب ذلك . وكانت اللحوم لديهم متوافرة فى الحقول وفى المنازل . بريون الماشية والطيور الداجنة ، ويبيعونها للقلة القادرين . أما هم فكان يكفيهم رغيف الخبز ، مع قليل من الملح أو الجبن . وبعض رءوس البصل . وكانت سواعدهم قوية ، يعزقون الأرض ، ويحرثونها ويروونها ، ويعودون بعد عمل شاق طوال النهار ، وينامون ملء جفونهم .

ولست أدعو لأن تعود الحياة الى ما كانت عليه منذ نصف قرن مضى . فهى لن تعود . ولكنى أدعو الى أن يعتدل الميزان ، وأن نحرر أنفسنا من رق الجزارين ، حقيقة ومجازا . فهم جزارون بالفعل . يذبحون الماشية ، ويبيعونها فيجزروننا جزرا . وما ذكره الرئيس عن الجزار المليونير ، ليس حادثا فرديا . ولك أن تسأل أصحاب العمارات فى مختلف الأحياء والجهات . وستعلم بنفسك أن كثيرا منها يملكها أولئك الذين يبيعون اللحم . بينما لا يملك الذين يشترونه شيئا .

والقرار الذى اتخذه الرئيس ليس موجها الى أولئك المستغلين وحدهم بل إنه موجه الى الشعب أولا . وقد كان يودى أن يكون القرار من صنعنا نحن ، وباختيارنا نحن المستهلكين ، غير أننا لم نتعلم كيف ندير أمورنا بأنفسنا . بل نلقى بالعبء كله على الدولة . وقد خطر فى خاطر ، وهو أننا أصبحنا جميعا نعرف مضار التدخين من الناحية الصحية والمالية أيضا . والجميع ينصحوننا بالكف عنه . ومع ذلك لا نملك من الارادة ما يجعلنا نفعل ذلك . وكثيرون يقلعون عن التدخين نسبة كبيرة من دخولهم أو مرتباتهم . ومع ذلك يستمرون فيه . فماذا يمنع صدور قرار من الدولة بتحريم التدخين . فلست أشك فى أنه سيقابل بالتأييد والترحيب . وإن كان كثيرون سيعانون فى أول الأمر باختلال المزاج . وبعد بضعة أيام يحمدون الله على هذه النعمة . انهم ينتظرون القرار . ولكنهم لا يستطيعون اتخاذه بأنفسهم .

وهكذا اللحم . نشكو من غلائه وارتفاع أسعاره يوما بعد يوم . ومع ذلك لا نكف عن شرائه . ولا صدر القرار رحبنا به . وتمنينا لو طال الشهر إلى شهرين أو ثلاثة . فسوف يجف العبء عن الجيب وعن المعدة أيضا .

أما عن البيض فقد استوقفنى مسألة واحدة . هى كيف يتسنى لإسرائيل أن تنتج وتبيع البيضة بواحد وثلاثين مليما . بينما نعجز نحن عن ذلك ؟ هل لديها الأرض اللازمة لزراعة الذراعين أكثر مما لدينا ؟ قطعا لا ! وهل تكون أجور العاملين فى إسرائيل أقل من أجور العاملين فى مصر ؟ قطعا لا ! وهل تكون هذه الزارع ومحطات التفريخ فى حاجة الى تكنولوجيا متقدمة تملكها اسرائيل ولاتستطيع نحن أن نملكها ؟ قطعا لا . اذن فما هو السبب فى رخص أسعار البيض فى اسرائيل رغم التضخم البالغ فيها . بينما ترتفع أسعار البيض فى مصر . وكل الظروف موالية ؟ سؤال استوقفنى . ولعل أحدا من المختصين بين علينا بالبيان .

هذا وأود أن أشير الى مسألة فرعية ، هى ذبح العجول الصغيرة الرضيعة دون انتظار لنسبيها . وقد سألت أحد العارفين بتربية العجول فقال إن العجل الصغير اذا ترك يرضع لبن أمه كلف صاحبه جنيهين ونصف جنيه يوميا . هى ثمن اللبن الذى يرضعه . بعد أن وصل سعر الكيلو من اللبن الحليب أربعين قرشا . فمن ذا الذى يضحى بجنيهين ونصف جنيه كل يوم . ليدع صغار العجول ترضع وتكبر وتسمن ؟

ومن هنا أدعو الى النظر لمسألة اللبن بعين الاهتمام . رغم كثرة الاعلانات عن أصناف اللبن المجفف التى تغمر الأسواق الآن . هذا مع العلم بأن كل مشكلات الغذاء متشابكة متواطئة . تستدعى أعمالا منسقة . علمية واقتصادية واجتماعية . على أن يكون الأمر يد صاحب الأمر فى المشكلة كلها . وهو المستهلك . مهما فعل الجزارون بنا . لأننا نحن المستهلكين لابد أن نكون أقوى منهم وأقدر . سواء كان ذلك بقرار من الدولة . أو بقرار من داخل أنفسنا .

ماهو السر؟

كثيرون تساءلوا . ولايزالون يتساءلون اليوم وغدا وبعد غد . كيف يتسنى لحكومة اسرائيل أن تواجه العالم كله شرقا وغربا . بكل هذا الأصرار والتصلف والعناد . فمارية عواصف الحائط بقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتصريحات الأوربيين والأمريكيين والأفارقة والآسيويين . وكل من له عقل يفكر به وضمير يحاسبه . من أين تواتيها القوة على احتمال هذا الضغط العالمى المتزايد يوما بعد يوم ؟

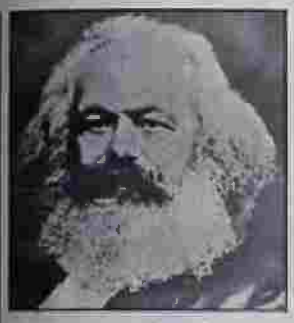

كارل ماركس

هل هى القوة العسكرية ؟ لا أريد أن أجيب عن هذا السؤال . لأننا استبعدنا الحديث عنه هل هى أمريكا وأصوات اليهود الأمريكيين فى انتخابات الرئاسة ؟ لا أظن ذلك . فبوادر الخلاف بينهما واضحة . وتصريحات الادارة الأمريكية ومواقفها الأخيرة فى مجلس الأمن دليل على ذلك . ثم انه ليس من المهم أن يكون لأصوات الناخبين اليهود القول الفصل فى المعركة الانتخابية . وقد حدث من قبل ذلك مرات أن تجمعوا حول مرشح لم يكتب له الفوز . ثم لنفترض أن هذه العظمة الاسرائيلية يقف وراءها ويشجعها كبار رجال الدولة فى الولايات المتحدة . أفلا نظل نتساءل عما هو السر فى كل هذه الحظوة التى تتمتع بها اسرائيل بين أعضاء أمريكا ؟ أهى سيطرة اليهود على أسواق المال والمصارف ووسائل الاعلام والجامعات ؟ ألم يكن العامان الأخيران كفيلين بأن يعرف رجل الشارع الأمريكى مصلحته . وميزان بين اسرائيل التى تأخذ منه كل شئ . وبين العرب والمسلمين الذين يعطونه كثيرا ، ان لم يكن كل شئ ؟

دولة واحدة أخرى فى العالم تواجه العزلة مثل اسرائيل . ومازالت تعيش . تلك هى جنوب أفريقيا . ولكنها تعيش لأنها بعيدة عن مواطن الصراع العالمى وقلب الدنيا . ومركز المواصلات البرية والجوية والبحرية . وآبار النفط الذى يعتمد عليه العالم كله . وليست جنوب أفريقيا محاطة بمثل ما تحاط به اسرائيل . وفى يد الحكومة العنصرية هناك موارد اقتصادية ضخمة . وصلات تتم من وراء ستار بالعالم الأبيض الذى يمدها بما تحتاج اليه سرا وعلانية .

أما اسرائيل فليس لديها من الموارد مايوفيها على قدميها . وهى مدينة بالبلايين . والتضخم فيها أصبحت نسبته أعلى نسبة فى العالم . والمهاجرون اليها يعودون أدراجهم فوجا بعد فوج . ومع ذلك تواجه الدنيا بالاستمرار فى احتلال أرض أعدائها بالقوة . وبنى المستوطنات . وتصدر قانونا بأن تكون القدس عاصمتها الأبدية .

ألا يمكن أن نوجه هذا السؤال الى أنفسنا . أقصد نحن العرب والمسلمين جميعا ؟ ألا يمكن أن يكون العيب فينا . وأن يكون هذا العيب هو مصدر الضعف والاصرار والتعنت من الجانب الآخر ؟

جمال عبد الناصر

سعد زغلول

حزب مصطفى

الآخر ؟ ألا يكون الفرق بينا وبينهم هو أن لديهم حلما يريدون تحقيقه . ولديهم الإرادة الجازمة العاملة على ذلك . أما نحن فلدينا أحلام يقظة نعيشها ولدينا مشاغل خاصة تلهينا حتى عن تفسير الأحلام المشوشة التي تحلم على عقولنا بالنهار والليل ؟

أم أن في الأمر سرا لا تدركه الأفهام ؟ لقد قالت مصر كلمتها وأوضحت موقفها وأدت واجبها . فقدتها احتواها بالطوب والحجارة . وماتقدم أحد منهم بحل يرتجى أو جواب لسؤال . وما واجهوا العناد الاسرائيلي الا بمزيد من الفرقة والانقسام فيما بينهم . وتفرقت كلمتهم على وجه لم يعرفه التاريخ يوما من الأيام .

وإلى متى ؟ لا أحد يتفضل بالجواب !

الأزمة البولندية

انتهت الأزمة البولندية أو كادت بتنازلات من العمال المضربين ، وتنازلات أكبر من جانب الحكومة . وكنت في الأسبوع الماضي قد أشرت الى هذا الموضوع ولكن في جملة واحدة . فقد كنت أتوقع منذ البداية أن الأزمة لن تستمر طويلا ، لأنها أكبر وأخطر من أن تتفاقم . فهي تصيب النظام الاشتراكي في الكتلة الشرقية كلها في الصميم .

وماحدث في بولندا سبق أن حدث مثيل له في غيرها من دول المعسكر الشرقي . وانتهت الأحداث بالضرب العنيف والدم الكثير الذي أريق في الشوارع . واذا كانت الأزمة في ظاهرها قد انتهت ، فإن جذورها تضرب في الأرض الشرقية من بحر البلطيق الى البحر الأسود ، ومن سيبريا الى حدود العالم الغربي . فالمسألة ليست مسألة أجور وارتفاع أسعار فحسب . ولكنها حقوق الانسان ، وحرية الفرد ، وبطلان النظرية الماركسية التي بشرت بمجتمع الطبقة الواحدة ، الطبقة العاملة ، أو البروليتاريا . فليس الحاكمون في هذا المعسكر ممن يمثلون الطبقة العاملة المطحونة ، بل انهم انفصلوا عنها ، وأصبحت السلطة في يد مجموعات يوازن بعضها بعضا ، من محترفي السياسة وزعماء الحزب ، وجنرالات الجيش ، وضباط المخابرات والبوليس السري ، ثم وراءهم أو معهم طبقة المديرين الكبار من مهندسين وخبراء اقتصاد وعلماء فضاء وذرة . وهؤلاء جميعا لم يعودوا من الطبقة الكادحة . فلهم امتيازاتهم وسياراتهم الفارهة ومصايفهم ومشاتيهم ، وحقوقهم في المساكن الملائمة وشراء السلع الاستهلاكية المستوردة ، الى غير ذلك من ضروب المتعة والترف . بينما يحرم العمال قيود النقابة والحرية المفقودة .

واذا كانت الماركسية قد تجاهلت عوائق الفرد وطموحاته وتعلقه بحرياته الأساسية ، ونظرت الى الناحية الاقتصادية المادية على أنها الأساس . فقد خابت تنبؤاتها حتى في هذه الزاوية . وما من أحد ينكر أن بعض الدول الرأسمالية الغربية تدفع للعاطلين من عمالها أكثر مما تدفعه الدول الاشتراكية للعاملين الذين يشتغلون سبع ساعات أو ثماني كل يوم . والعاملون في الدول الرأسمالية يستطيعون أن يعبروا عن سخطهم أو غضبهم بالكلام أو بغيره ، بينما يلاقي المعارضون في المعسكر الاشتراكي أقسى أنواع التنكيل . وقد مرت على التجربة الاشتراكية حتى الآن ثلاث وستون سنة . ولم تتحقق نبوءات ماركس وانجلز ولينين وستالين ، بل تطورت الأمور في عكس الاتجاه المفترض . فبدلا من أن يتحول المجتمع الاشتراكي الى مجتمع شيوعي يجد فيه كل امرئ ماهو في حاجة اليه ، بدأ يتحول – حتى داخل الاتحاد السوفيتي والصين – ليقترب من النظام الرأسمالي . لا ليبتعد عنه . ولم يكن ماركس من الغباء بحيث يقول ان بيانه الذي أصدره هو دستور النظام المستقبلي الأبدي ، بل قال انه قابل للتطور والتغيير ، لأنه لاأبدية مع تطور البشر والتاريخ . ولكن الذي أخطأ فيه هو مسار هذا التطور ، الذي يتقدم الى الخلف ، لا الى الأمام .

وسوف تحدث أزمات أخرى كالأزمة البولندية ، في أي مكان من الكتلة الشرقية ، طال الزمان أو قصر . ولن تكون ذات أثر الا اذا أرعدت السماء في الاتحاد السوفيتي نفسه . وليس هذا بمحال . بل إنه لشيء متوقع بعد ما تناقله الأنباء عن كثرة المعارضين أو من يسميهم بالمنشقين ، والفارين من أبطال الفن والرياضة الى عالم الغرب ، والتذمر المكبوت في صدور الملايين ، الذين اذا صمتوا أعواما أو أجيالا ، فلابد لهذا الصمت من يوم يعلو فيه الى درجة الصراخ ، وتضطرب الأمور ويتمخض النظام الماركسي عن شيء جديد ، ليس هو الذي توقعه ماركس وانجلز في يأسهما .

مواعيد العمل الجديدة

اذا كانت مشكلة المرور هي السبب الأول والأخير في التفكير الذي يجري الآن لتغيير مواعيد العمل ، فان ذلك يحتاج الى وقفة ، وقفة طويلة .

صحيح أن المرور أصبح مشكلة ، ولكنا نعاني منها ونلتمس لها الحلول ، جذرية كانت أو وقتية ، ولكن ليس معنى وجود هذه المشكلة أن نعالجها بقرار تنجم عنه مشكلات أكثر تعقيدا وأوسع مجالا ، وأكثر أثرا في حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية .

والواضح مما سمعته عن مناقشة الموضوع في مجلس محافظة القاهرة ، ومن القليل الذي نشرته الصحف في هذا الشأن ، أن الرأي فيه منقسم بين مؤيد ومعارض ، ويكاد الطرفان يستويان . ولهذا قيل ان المواعيد الجديدة سوف تكون على سبيل التجربة ، لأنه ليس من المستطاع التنبؤ بما ينجم عن مثل هذا القرار من آثار ، لاعل مشكلة المرور فحسب ، بل على كثير من المشكلات الأخرى .

وقد كنت أفضل بدلا من تجربة النظام الجديد ، ثم المضي فيها أو العدول عنها بعد ذلك ، أن نتريث بعض الوقت ، وأن يعكف المختصون على دراسة الموضوع من كافة جوانبه . ثم اتخاذ قرار نهائي فيه بعد توافر الدرس والتمحيص العلمي الشامل . فهناك أولا جانب اقتصادي يتأثر به أصحاب المحلات التجارية الذين يمارسون أعمالهم الى ساعة متأخرة من الليل . وهناك مئات الألوف من الموظفات الأمهات اللاتي يدهن لاصطحاب أولادهن من المدارس في ساعات الظهيرة . وهناك مئات الألوف من موظفات الحكومة اللاتي يعدن الى منازلهن في الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر . ثم نضطرهن الظروف الى النزول مرة أخرى لشراء مايحتجن اليه من سلع تباع في المتاجر المفتوحة حتى الثامنة أو التاسعة مساء .

أما عن فترة الراحة التي حددها المشروع المقترح ، وقدرها ساعة واحدة من الزمن للعاملين في المحال التجارية . فلست أدري كيف تكفيهم هذه الساعة في التماس الراحة أو تناول الطعام أو رعاية المنزل . وصحيح أنهم في أوروبا يعملون فترة واحدة ولكن الفروق بيننا وبينهم واسعة في أكثر من مجال . في طبيعة الجو وبخاصة في صيفنا الشديد الحرارة الذي يحتاج الى ساعات من القيلولة . وفي الأعداد الضخمة من المطاعم الصغيرة المنتشرة هناك والمسماة « بالكافتريات » . التي يلجأ اليها العاملون في ساعة الراحة ليلتهموا وجبات خفيفة . انتظارا للوجبة الرئيسية التي يتناولونها في المساء بعد انتهاء العمل . بينما نعودنا نحن على أن تكون هذه الوجبة الرئيسية في الظهر .

وما أظن العاملين والعاملات عندنا . لديهم من الموارد مايمكنهم لتناول الطعام خارج منازلهم كما يفعل الأوروبيون . واذا وجدت الموارد فأين المطاعم النظيفة الرخيصة التي يمكن أن يلجأوا اليها .

والذي أود أن أركز عليه وأوجه نحوه الاهتمام . هو أن مواعيد العمل الحالية لم نستقر عليها سنوات طويلة اعتباطا . ولكنها وليدة ظروف مناخ واقتصاد وسلوك اجتماعي وعادات ترسبت خلال أحقاب متلاحقة من الزمن . ولهذا يكون تغييرها جديرا بالبحث الطويل والدراسة المتأنية .

وأنا واثق من أن السيد سعد مأمون ، والسيد عبد اللطيف بلطية يدركان خطورة هذا القرار المقترح ، وبرلمانه ما يستحقه من دراسة مستفيضة قبل تنفيذه .

الفاتح من سبتمبر

في يوم الاثنين الماضي ، تعطل العمل في دواوين الحكومة والقطاع العام والبنوك ، احتفالا بعيد الفاتح من سبتمبر . ومن أكثر الأعياد التي نحتفل بها رسميا ، ونحن لانكاد نعرف على وجه اليقين ، لماذا نحتفل بها ، ولماذا نتعطل في ذكراها مصالح الناس والدولة .

والفاتح من سبتمبر ، أي اليوم الأول منه ، هو اليوم الذي قامت فيه الثورة الليبية . وكنا وقتذاك متعاطفين معها مؤيدين لها ، فرحين بها . ولكن المولود الذي أقمنا له الأفراح والزينات ، لم نغض عليه سنوات قليلة حتى فعل الطريق وانحرف .

واصبح اليوم عالقا بسبب السلوك معا ومع جميع شعوب الأرض قاطبة ، وفي مقدمتها شعب ليبيا نفسه .

ولست أريد الخوض فيما آلت اليه الثورة الليبية ، وفيما يفعله قائدها وزعيمها الأوحد . فاذا كانت الخاتمة له ، فانه لم يعد يستحقها . واذا كانت الخاتمة للشعب الليبي ، فلاشك أنه يرفضها ، لأنه يعاني من ثورته أكثر مما تتصور . وكان الأوفق والأصح أن نقدم له العزاء والمواساة في هذه المناسبة الحزينة .

الحق أنا شعب طيب !